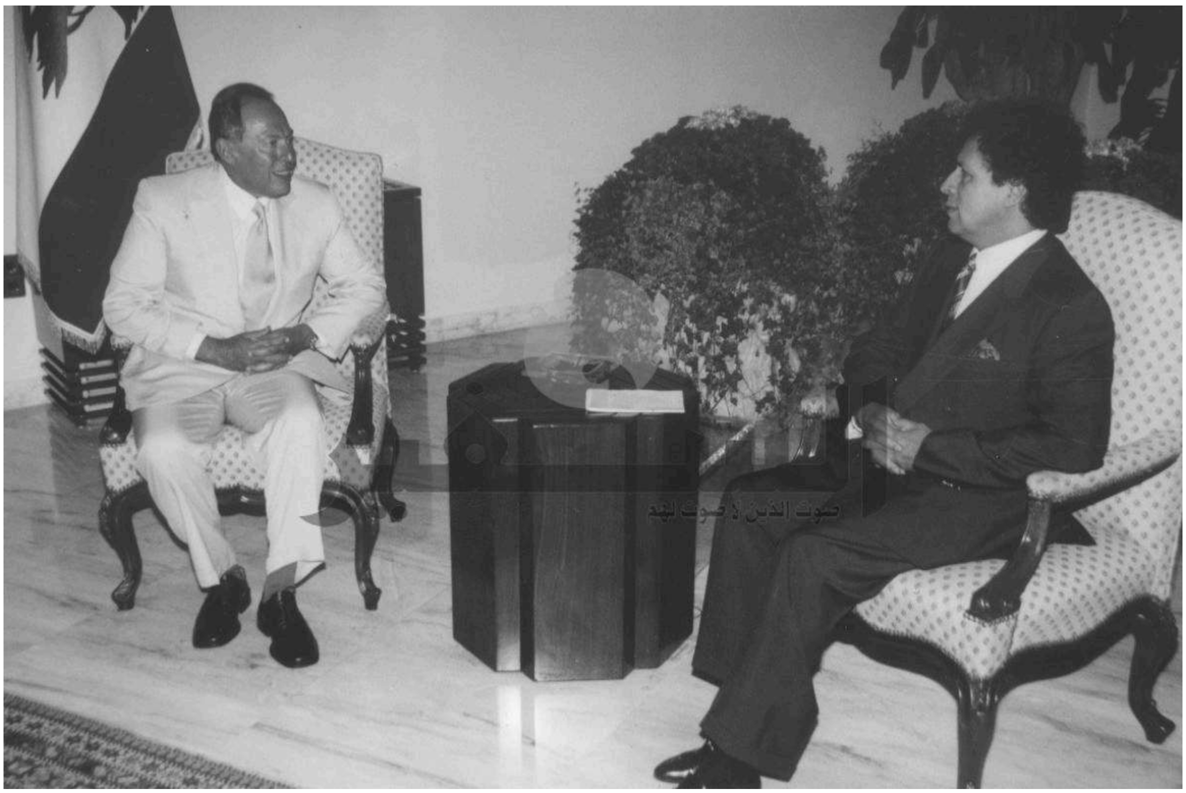
السفير

مشاريـع صيـدا العمرانيـة فـي كتـاب [إعمار للاستثمار الصافي أم للناس وبالناس؟


لحود مع قذاف الدم (دالاتي ونهرا

المؤلف: فياض رهيف
التاريخ: 2008-06-06
رقم العدد:11016

المكانة التاريخية لصيدا، صنعها الالتقاء بين <عبقرية السكان> و<عبقرية المكان>. القول لعبد العزيز التويجري. نطلق اليوم كتاباً، المناسبة حدثٌ. وكل كتابٍ، هو حدثٌ بذاته. أما أن يحتضنَ كتابٌ، طموحات مدينةٍ فريدةٍ بموقعها الجغرافي والطبيعي، أن يحتضنها بتاريخها العريق الملهِم، وبدورها المميَّز في الحياة الوطنية المعاصرة، أن يحتضِنَ همومَ

ناسها، وتعلُّقهم بمشاريع عمرانية، يريدونها حريصةً على حماية مدينتهم التاريخية، فتجعل منها رافعة لتطور مديني متوازن بين البر والبحر والمجتمع، يشمل المدينة المعاصرة بكاملها، فالمناسبة مهيبةٌ، والحدث جللٌ. -2- الكتاب الذي نطلقه اليوم، هو الجزء الأول من موسوعة بثلاثة أجزاء، يفوق عدد صفحاتها الألف ومئة صفحة. تعرضُ الموسوعةُ بأجزائها الثلاثة، وقائع سبع ندوات أقامها <المجلس الثقافي للبحوث والتوثيق في صيدا>، ابتداء من الثامن من آذار من عام 1997, ولغاية الخامس والعشرين منه. ? في الندوة الأولى: مشروع البولفار البحري، والمباراة المخصصة لإعداد مخطط توجيهي ينظِّم الواجهة البحرية لمدينة صيدا من الأولي حتى سينيق، على أن يكون عصب المباراة، تنظيم الواجهة البحرية للمدينة التاريخية. ? وفي الندوة الثانية: عرضُ مشروعَينْ لمشاركَينْ في المباراة، نوَّهت بهما لجنة التحكيم. ? وفي الندوة الثالثة: تأثير المشاريع العمرانية في التراث المعماري والحضاري للمدينة. ? وفي الندوة الرابعة: تواصل النسيج العمراني في التنظيم المديني لمدينة صيدا، وموقع الآثار والتراث في هذا التنظيم. ? وفي الندوة الخامسة: تأثير مشاريع صيدا العمرانية المطروحة، في البيئـة الاقتصاديـة والاجتماعية للمدينة. ? وفي الندوة السادسة: تأثير هذه المشاريع، في البنية الديموغرافية، وفي الحراك الاجتماعي في المدينة. إلى تأثير هذه المشاريع في البيئـة الطبيعية بشكل عام، وفي الشواطئ بشكل خاص ، ؟ في الندوة السابعة. في الموسوعة بأجزائها الثلاثة، نصوصُ المقدِّمين في الندوات، ونصوص المحاضرين، ونصوص المعقَّبين، أي ما مجموعه ثلاثة وعشرون نصَّاً اساسياً. -3- في الكتاب الذي نطلقه اليوم، وهو الجزء الأول من الموسوعة: ـ وقائع الندوة الأولى التي عقدت في آذار من عام 1997, ووقائع الندوة الثانية التي عقدت في 15 آذار من عام 1997 ايضاً، ووقائع الندوة الدولية للمدن الساحلية التاريخية الصغرى، التي عقدت في صيدا ابتداءً من 28 أيار من عام 2001 ولغاية 31 منه. - الندوة الأولى: أشرت في بداية هذا النص إلى الإطار العام للندوة الأولى، وإلى مضمونها. [أما موضوعها فكان، <وجهة نظرٍ في مشروع البولفار البحري، وتنظيم الواجهة البحرية لمدينة صيدا>. [وشعارها: من أجل حوار ديموقراطي ومشاركة وطنية فاعلة، من أجل بناء مجتمع إنساني يعيش فيه الإنسان، بكامل إنسانيته، وبكامل حريته. [ووقائعها: بدأت بكلمة تقديم أعادتنا إلى بدايات تأسيس <المركز الثقافي للبحوث والتوثيق في صيدا> في عام 73-74 من القرن الماضي، إلى مرحلة التأسيس الثانية للمركز، وقد تنوَّعت في نشاطاته الموضوعات بين عام 1981 وعام 1988, من التعليم والتفاوت الاجتماعي في صيدا، إلى وثائق الاجتياح الإسرائيلي ..... إلى المحافظة على البيئة، إلى اقتصاديات

صيدا في محيطها الريفي. [وعنوان المحاضرة الأولى، وهي المادة الرئيسة في هذه الندوة، كان: <تنظيم الواجهة البحرية لمدينة صيدا في المباراة مدخل، وفي التقويم وجهة نظر>.عرض فيها المحاضر المشاريع السبعة التي تقدمَّت، ومعايير التحكيم التي صاغتها لجنة الاشراف على المباراة، ومداولات لجنة التحكيم في اجتماعاتها الأربعة، وتقويمها الأول، وتقويمها الثاني. وانتهى المحاضر بتلاوة نص قرار اللجنة بحجب الجائزة الأولى، ومنح الجائزة الثانية مرتين، ومنح الجائزة الثالثة مرة واحدة. كما تلا توصيات اللجنة، وجوهرُها إعادة صياغة مشروع واحد معدٍّ للتنفيذ، يتضمن الإيجابيات الموجودة في المشاريع الثلاثة المنوه بها، ويبتعد عن سلبياتها. [وكان التعقيب، للوزير والنقيب الراحل بهاء البساط. تبع ذلك، نقاش عام ساهم فيه كثيرون، وعرض الكتاب ملخصاً له. الملاحق والوثائق ثم يعرض الكتاب كل الملاحق والوثائق العائدة إلى موضوعها الرئيس، وأهم هذه الوثائق: [محاضرة النقيب الراحل بهاء البساط، حول مشاريع الأوتوستراد، والبولفار البحري، ومرفأ صيدا، التي ألقاها بتاريخ 1995,/16/12 ووقائع المناقشة التي تبعتها. [الملاحق والوثائق الرسمية، العائدة إلى موضوع المحاضرة، من محضر جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في 1995,/23/8 إلى المرسوم رقم 7593, القاضي بإنشاء شركة عقارية مغفلة لبنانية (ش.م.ل) باسم <الشركة اللبنانية لتطوير ساحل مدينة صيدا>، إلى المرسوم رقم 7691, حول تصديق التعديل، إلى كل وثائق إطلاق المباراة لتنظيم الواجهة البحرية لمدينة صيدا، إلى كل الوثائق الصادرة عن لجنة التحكيم. ـ الندوة الثانية: أما الندوة الثانية فقد عقدت في 15 آذار 1997, وكانت بصوتين. [حيث عرض الدكتور غازي مكداشي، مشروعه (بمشاركة المهندس يوسف سلام) لتنظيم الواجهة البحرية لمدينة صيدا. وكانت لجنة التحكيم قد منحته الجائزة الثانية. [كما عرض المهندس فادي القطب، مشروعه، الذي مُنح الجائزة الثالثة. [والتقديم في هذه الندوة، كان للمهندس محمود دندشلي متحدثاً باسم <المركز الثقافي للبحوث والتوثيق>، وباسم <مجموعة المهندسين الصيداوين>، المتابعين بمثابرة لافتة، المشاريع العمرانية المطروحة. [نجد كل ذلك، في الكتاب، كما نجد فيه ايضاً عرضاً للنقاش العام الذي تلى المتحدَثينْ، وفيه مداخلةٌ طويلةٌ للدكتور محمد علي عبد العال ابراهيم، عميد كلية الهندسة المعمارية في جامعة بيروت العربية في حينه. [وكما في عرضه لوقائع الندوة الأولى ولوثائقها الرسمية، يعرض الكتاب، كل الملاحق والوثائق الرسمية، من رسالة <مجموعة المهندسين الصيداويين> إلى النائبة السيدة بهية الحريري، ورسالتهم إلى النائب السيد مصطفى سعد، إلى وقائع اللقاء الموسَّع حول الأوتوستراد، الذي عقد في مقر بلدية صيدا، والذي ظهر فيه الانقسام

الصيداوي حول مسار الأوتوستراد. ويذكِّرنا الكتاب بأن النقاش المستجد حول الأوتوستراد، هو في الواقع نقاشٌ عتيق، وقد مرَّ بمراحل متعددة، ابتدأت في عام 67 مروراً بعام ,86 وصولاً إلى عام 94 من القرن الماضي. [وبالعودة إلى <مشروع تنظيم الواجهة البحرية لمدينة صيدا>، يعرض الكتاب الوقائع التفصيلية للقاء الموسع الثاني المخصَّص لهذا المشروع، والذي عقد في قاعة المعارض في مقر بلدية صيدا. استمر اللقاء تسع ساعات في جلستين. ـ استهل اللقاء رئيس البلدية المهندس أحمد كلش، تبعته النائبة السيدة بهية الحريري في كلمة قصيرة. ثم تقرير المعمار رهيف فياض ممثلاً لجنة التحكيم، الذي تضمَّن عرضاً لاجتماعاتها الأربعة من 11 تشرين الثاني في عام 1996 ولغاية 27 منه، وعرضاً مفصَّلاً للمشاريع السبعة المشاركة، وتفصيلاً دقيقاً لمعايير التحكيم، وتلاوةً لقرار اللجنة، وفيه منح الجوائز، والتوصيات. ـ ثم عرض كل من المهندسين يوسف سلام، وراسم بدران، وفادي قطب، مشروعه. نجد كل هذه الوقائع مفصلةً في الكتاب، إلى جانب المناقشة العامة التي تلت، وشارك فيها جميع الحاضرين. ـ وفي نيسان من عام ,2001 أقيم في مقر بلدية صيدا، معرض لوثائق <مشروع تنظيم الواجهة البحرية للمدينة>، الذي أعدَّه المعمار راسم بدران، بتكليف من المديرية العامة للتنظيم المديني، وسمّي في حينه <المشروع الأولي>. استمر معرضُ وثائق المشروع أكثر من أسبوع، وصدرت تعليقات ممثلي الاتجاهات المتناقضة عليه، وقد نُشِر معظمُها في الصحف اللبنانية. ـ عُقد إثر ذلك في مقر بلدية صيدا، لقاءٌ موسَّعٌ ثالثٌ، ارتدى صفة <ورشة عمل لدراسة مشروع راسم بدران الجديد>، المطلوب اعتمادُه من المديرية العامة للتنظيم المديني، ووضعه موضع التنفيذ. شارك في ورشة العمل الجميع، من مجلس بلدية صيدا حيث حضر رئيسه، ومن المديرية العامة للتنظيم المديني حيث حضر المدير العام، ومن أعضاء سابقين في المجلس البلدي للمدينة، وعدد كبير من المهندسين المهتمِّين. يوثِّق الكتاب كل النقاشات، ويستعرض كل المواقف التي انطلقت من ورشة العمل المذكورة. ؟ وأهم ما جاء في هذا التوثيق، المعد بمهنية عالية، عرضٌ كامل لمتابعة الصحف لورشة العمل الحدث، وعرضٌ لاجتماع المهندسين في صيدا، الذي دعت إليه <مجموعة المهندسين الصيداويين> وشارك فيه كما جاء في الكتاب، خمسون مهندساً، ومهتمون آخرون، حيث رأى المجتمعون، أن مشروع رامز بدران الجديد، يشكّل خروجاً كاملاً عن توصيات لجنة التحكيم، وكأن المباراة لم تحصل، وتوصيات لجنة التحكيم لم تصدر. وهو يناقض بالكامل توصيات منظمة اليونسكو، ويتجاهل تحذيرات المسؤولين فيها بعدم إدراج مدينة صيدا التاريخية في لائحة التراث المبني العالمي، إذا قُضم الشاطئ الرملي، وفُصِلت المدينة عن بحرها، واستُحدِثَ

قطبٌ جديد عند المدخل الشمالي لصيدا، يوازن أو يوازي القطب الوحيد على امتداد الشاطئ من الأولى إلى سينيق، وهو النتوء في البحر الذي تقوم عليه مدينة صيدا التاريخية، وتواصلها معه عبر تاريخها الطويل. وعرضٌ لوثيقة <مجموعة المهندسين الصيداويين>، حول الطريق الساحلي السريع، وتنظيم الواجهة البحرية لمدينة صيدا الصادرة في 21/5/,2001 وعرضٌ لتعليقات بعض الشخصيات الصيداوية على مشروع راسم بدران الجديد، وعرضٌ أخير لمحضر اجتماع لجنة التخطيط والأشغال والتنظيم المديني المنبثقة عن مجلس بلدية صيدا في 1/9/2004. ? أما الملاحق الرئيسة، والوثائق الأساسية المرافقة لأوراق عمل الندوة الثانية، وكل ما أنتجته من مواقف وتصريحات ونشاطات. [فقد تمثل بالوثائق شبه الكاملة، للندوة الدولية، للمدن الساحلية التاريخية الصغرى، والتي عرضها الكتاب في ما يزيد عن مئة صفحة كاملة. [لقد عُقِدَت الندوة الدولية في صيدا، من 28 أيار 2001 ولغاية 31 منه، بدعوة من مجلس بلدية صيدا، ومنظمة اليونسكو، ومؤسسة الحريري. وكان للندوة محاور ثلاثة: 1 ـ البيئة الساحلية والبحرية والبرية، أي إبراز قيمة الموارد الطبيعية، والثقافية، والمحافظة عليها. 2 ـ تراث المدينة القديمة وآثارها، أي الاندماج المديني، بوجه تحدِّي التنمية الاجتماعية ـ الثقافية، والسياحية. 3 ـ تعبئة الموارد المعمارية والمدينية، أي إعداد مخطط تنظيمي جديد للمدينة بكاملها. [وكان عنوانها، المدن الساحلية التاريخية الصغرى، التنمية المدينية المتوازنة، بين البر، والبحر، والمجتمع. [وبعد تسجيله للعنوان وللمحاور، يستعرض الكتاب بمهنيَّةٍ وبموضوعية، كل ما قالته الصحف عن الندوة الدولية، من 29 أيار حتى أول حزيران 2001. ثم يستعرض الجلسة الافتتاحية، وورش العمل الثلاث، والجلسة الختامية، ومداخلة وزير الثقافة فيها، والمقترحات الصادرة عن الندوة، والتوصيات الصادرة عن ورش العمل الثلاث. ويتوقف الكتاب عند إعلان صيدا حول اعتماد الحادي والثلاثين من شهر أيار من كل سنة، يوماً عالمياً للآثار البحرية، وإطلاق <مشروع ورشة شباب وتضامن>. [وينتهي الكتاب، بعرض لمداخلة راسم بدران حول مشروعه الجديد، وبأجزاء هامة من وثيقة عمل قدمها جان ـ بول تالمان باسم اليونسكو، وبعدة شهادات وتعليقات وأحاديث لمسؤولين ومهتمين نشرت في الصحف، بين أول شهر حزيران ومنتصف شهر آب من عام ,2001 أهمها الحديث مع الأمين العام المساعد للثقافة في منظمة اليونسكو، عز الدين بشاويش. -4- ? الصورة الفوتوغرافية في الكتاب وللصورة الفوتوغرافية دورٌ هامٌ في الكتاب. إنها أحد مكوِّناته الرئيسة. فهي ترافقُ النصَّ للإيضاح كما في سائر الكتب العلمية. نراها شاملةً هنا، وجزئيةً هناك. أو أنها أداة للتعريف بالأمكنة،

فهي النص البصري يكمل النص المكتوب، فيصنعان النصَّ الموحَّد. أو إنها الحكواتي التراثي، يجلس على الصخور المتبقية، ويجول في ثنايا التاريخ: فيفشي لنا بأسرار البحر، هامساً بأن مياهه كانت تدخل من النوافذ إلى البيوت لتغسل بلاطها، أو يروي حكايا الصبية، الذين كانوا لا يغادرون بحرهم أيام العيد، لا في النهار ولا في الليل، أو يقف، ليدلَّ بعصاه، على أمكنةٍ قبالة قلعة البحر، كان الصيادون يُنزلون منها قواربهم الجديدة إلى مياهه. أو أنها، رفيقة عالم الآثار، ينظر إلى صيدا التاريخية من قوس نافذة في قلعة البحر الدهرية. أو أنها الشاهد على التحولات الفجَّة، التي حملتها المُعاصَرة، حيث أصبح درب النزهة البحرية الذي حلم به الصيداويُّون، مرأباً ضخماً للسيارات من كل القياسات. أو أنها دليل الزائر إلى أمكنة الذاكرة، التي تبقى حلوة، وإن ممزوجة بمرارة الواقع. أو انها عين الفضولي المتنزه في الزواريب المتعرجة الضيقة، يحني رأسه أحياناً ليعبر إلى فناء داخلي مفاجئ، فيه نافورة ماءٍ ودرجٌ خارجيٌّ لصيق الجدران الحجرية، كم تمنى لو يتسلَّقه ليرى التاريخ من فوق. الصورة في الكتاب لا تنفصل عن النص، إنها نص بصري، إنها نصٌّ نراه. -5- ? وللكتاب قيم متعدِّدة وللكتاب قيم متعدِّدة، [له قيمة منهجية واضحة، نلمسها في تجميع عناصر البحث، وفي اختيار موقعها في السياق العام لبنية النص، وفي تحديد دورها في صياغة مضمونه، انطلاقاً من الموضوع الرئيس، وصولاً إلى كل ما يتفرَّع عنه، أو يتصل به. [وله قيمة معرفية أكيدة، فهو، إلى جانب عرضه للنصوص الرئيسة وللوثائق الرسمية، يعود إلى الينابيع، ينهل منها، ينقلها أحياناً من لغة إلى أخرى، يُلخِّصها، ويقدِّمها مادةً معرفيةً خالصةً، وزاداً لكل باحث ومنقِّب. [وله قيمة توثيقية هامة، إذ تجد في الكتاب، كل ما صدر حول المادة الرئيسة موضوع البحث، من الردود السريعة، إلى الشهادات المكتوبة، إلى وقائع السجالات الساخنة، إلى ما نشرته الصحف حول الموضوع. [وله قيمة مرجعية فريدة، فهو المرجع الوحيد، الذي يضم في صفحاته كل الدلالات على المسار المتعرج، الذي سلكته قضايا إنمائية شاملة، وثيقة الارتباط بالاجتماع الصيداوي والوطني، خلال سنين عديدة. [إلا أن قيمة الكتاب الرئيسة، تبقى بأنه اختار بين نهجين متعارضين: ـ هل أنِّ الإعمارَ هو عمليةُ استثمارٍ ماليٍّ صافية ....؟ عملِّيةٌ عقارية ....؟ أم أنه إعمارٌ بالناس وللناس ....؟ ـ هل يصحُّ الإعمارُ بالتهام التراث، والبيئة، والبحر؟ .... في مثالي بيروت وصيدا ....؟ أم إن الإعمار الذي يصحُّ، هو الإعمار القائم على التوازن بين البحر والبر والمجتمع ...؟ كما جاء في عنوان ندوة المدن الساحلية التاريخية الصغرى ...؟ لا يُخفي الكتاب انحيازه للناس، ولا يُخفي احتضانه إعماراً إنسانياً تنتُجُ عنه تنميةٌ تدوم. -6- في خضم ما سمِّي بسنوات الإعمار في منتصف التسعينيات من القرن الماضي،

كتبتُ مقالةً نشرتُها في <ملحق جريدة النهار> في تشرين الثاني من عام 1997 بعنوان <العمارة الغانية والإعمار الموجع>. وتتابعت مقالاتي وقد نشر معظمها في جريدة <السفير>، وصدرت في عام 1999, في كتاب سميته: <العمارة الغانية والإعمار الموجع>. الكتاب الذي نطلقه يرصد التحولات الكبرى التي جرت في زمن العولمة ـ الأمركة، ويوحي، لا بل يستشرف، ويقرأ في المستقبل، فيرى انه، بعد عشر سنوات على صدور الكتاب الذي ذكرت، ستُصبح الغانية عاهرةً، وسيصبح الموجِع مدمِّراً. نطلق اليوم ناتج عملٍ مؤسساتي جادٍّ محترفٍ، قام به <المركز الثقافي للبحوث والتوثيق> في صيدا. وعليَّ، كي أكون منصفاً، أن أقول، إنه عمل قام به فردٌ بمفرده، هو رئيس المركز الدكتور مصطفى دندشلي. فللصديق الدكتور مصطفى دندشلي، تهانيّ الحارة على هذا الإنتاج الضخم. [ألقيت في قاعة المحاضرات، في مقر مجلس بلدية صيدا.

الكلمات الدالة

صيدا | المجلس الثقافي للبحوث والتوثيق في صيدا | المشاريع السكنية | الكتب | المراجعات